

مَجَلَّةُ فَضْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٌ

تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الْكِرْبَلَائِيِّ

مُجَاوِزَةً مِنْ وَرَاةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَّحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةً لِأَعْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعَالَمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الثانية عشرة / المجلد الثاني عشر / العددان الأول والثاني (٤٣-٤٤)

ذو الحجة ١٤٤٦هـ / حزيران ٢٠٢٥م



كربلاء المقدّسة - جمهورية العراق

ردمد: ٢٣١٢-٥٤٨٩

ردمد الإلكتروني: ٢٤١٠-٣٢٩٢

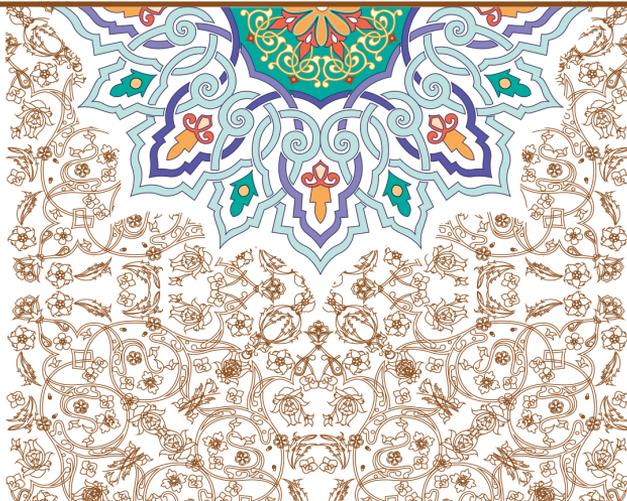
الترقيم الدولي: ٣٢٩٧

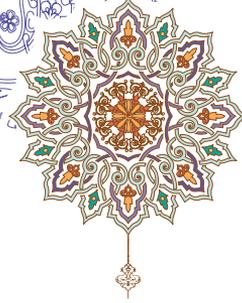
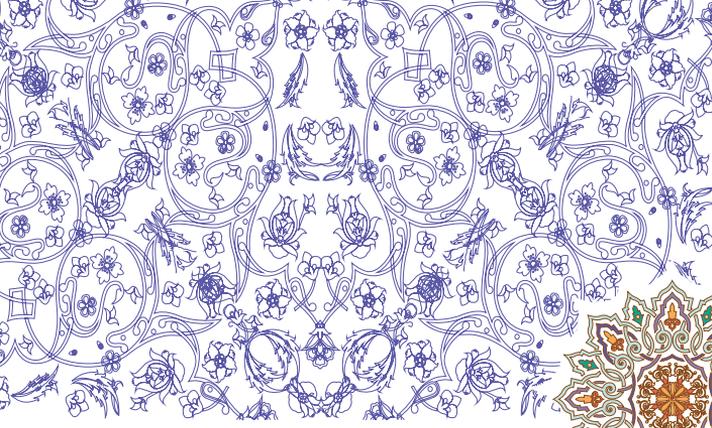
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤

رقم الجوال: ٠٧٧٢٩٢٦١٣٢٧

Web: <http://Karbalaheritage.alkafeel.net>

E. mAl: turAth@AlkAfeel.net

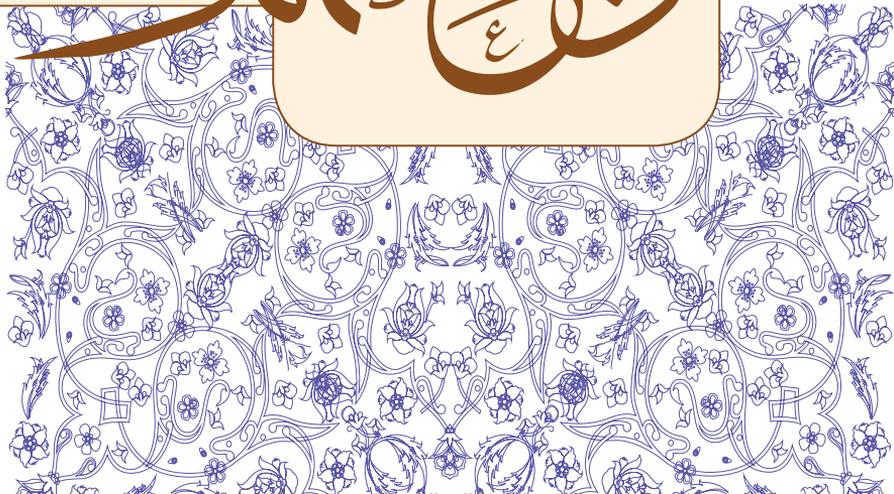




الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ



تراث كربلاء

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصافي
المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدّسة

المشرف العلمي

الشيخ عمّار الهلالي
رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدّسة

رئيس التحرير

د. إحسان علي سعيد الغريفي (مدير مركز تراث كربلاء)

مدير التحرير

أ.د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

سكرتير التحرير

م.د. علي عباس فاضل

مدقق اللغة العربية

أ.د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

م.د. حيدر فاضل العزاوي (وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء)

مدقق اللغة الانكليزية

م.م. إباء الدين حسام عباس (جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية)

الإدارة المالية والموقع الإلكتروني

وليد جاسم سعود

الهيئة التحريرية

- أ.د. مشتاق عباس معن (كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد)
- أ.د. علي خضير حجي (كلية التربية/ جامعة الكوفة)
- أ.د. إياد عبد الحسين الخفاجي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)
- أ.د. علي كسار الغزالي (كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة)
- أ.د. عادل محمد زيادة (كلية الآثار/ جامعة القاهرة)
- أ.د. حسين حاتمي (كلية الحقوق/ جامعة اسطنبول)
- أ.د. تقي عبد الرضا العبدواني (كلية الخليج/ سلطنة عمان)
- أ.د. إسماعيل إبراهيم محمد الوزير (كلية الشريعة والقانون/ جامعة صنعاء)
- أ.د. زين العابدين موسى جعفر (كلية الآداب/ جامعة بغداد)
- أ.د. علي طاهر تركي الحلي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)
- أ.د. محمد حسين عبود (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)
- أ.د. حميد جاسم الغرابي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)
- أ.د. ضرغام كريم كاظم الموسوي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)
- أ.م.د. حيدر عبد الكريم حاجي البناء (جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة)
- أ.م.د. محمد علي أكبر غفوري نژاد (كلية الدراسات الشيعية/ جامعة الأديان
والمذاهب/ إيران)
- أ.م.د. فلاح عبد علي سر كال (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)
- م.د. اكسم احمد فياض (جامعة وارث الأنبياء/ كلية العلوم الإسلامية)

قواعد النشر في المجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١- يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون على وفق منهجية البحث

العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٢- يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق A٤، وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج

(CD) بحدود (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠) كلمة بخط (simblified ArAbic)

على أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

٣- تُقبل النصوص المحقّقة لمخطوطات كربلاء، على أن تكون محقّقة على وفق

المناهج المتعارف عليها، وأن تتضمن مقدّمة تحقيق (دراسة) يذكر فيها

الباحث المنهج المعتمد ومواصفات النسخة المعتمدة ومصدرها، ويرفق

مع العمل المحقّق صورة المخطوطة المعتمدة كاملةً، على أن لا يتعدّى عدد

الكلمات ١٨,٠٠٠ كلمة.

٤- تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في

حدود صفحة مستقلّة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص

بحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين،

وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة

عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر

البحث، وتراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن

نرات كرتبا

تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٧- يزود البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٨- تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وأن يشير فيها إذا كان البحث قد قُدم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالها، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١٠- أن لا يكون البحث منشورًا، وليس مقدمًا إلى أية وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١٢- تخضع البحوث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تُقبَل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يُبلّغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.

نرات كربلاء

جـ. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

د. البحوث المرفوضة يُبلِّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

و. يُمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١٣- يراعى في أسبقيّة النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسليم البحث لرئيس التحرير.

ج- تاريخ تقديم البحوث التي يتمّ تعديلها.

د- تنوع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٤- ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة:

(turath@alkafeel.net)

أو على موقع المجلة:

<http://karbalaheritage.alkafeel.net/>

أو موقع رئيس التحرير:

drehsanalgurairi@gmail.com

أو تُسلّم مباشرة إلى مقرّ المجلة على العنوان الآتي:

(العراق/ كربلاء المقدسة/ المدينة القديمة/ باب الخان/ مجمع الإمام

الصادق لأقسام العتبة/ الطابق الخامس).

تراث كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No:

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الياسلة لدحر الارهاب"

الرقم: ب ت ٤ / ٩٨١٤

Date:

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الياسلة لدحر الارهاب"

التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٧

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجالات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءً على توافر شروط اعتماد المجالات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "مجلة تراث كربلاء" المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالة
٢٠١٤/١٠/٢٧

وزارة التعليم العالي
والبحوث العلمي

نسخة منه الى:

- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- المصادرة

www.rddiraq.com
Email:scientificdep@rddiraq.com

تراث كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ

الحمد لله حمداً يعدل حمد ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، وصلّى الله على خيرته من خلقه محمد خاتم النبيين، وآله الطاهرين المخْلِصين.

أمّا بعد

فمع هذا العدد المزدوج: الثالث والأربعين، والرابع والأربعين، تُوقَد مجلّة تراث كربلاء الشَّمْعَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ من عمرها، يطرّزها العددُ الأوّل والثاني من المجلّد الثاني عشر، للسنة الثانية عشرة من عُمر المجلّة، فنحمد الله تعالى على مواصلة المسير في توثيق تراث مدينة كربلاء المقدّسة، وإحيائه عبر بحوث رصينة تتسم بالنضج والابتكار، جادت بها أقلام الباحثين الذين تعدّدت اختصاصاتهم العلميّة، وثقافتهم التراثيّة، فكان ذلك أحد أهمّ العوامل في ازدهار مجلّة تراث كربلاء، ونضوج ثمارها العلميّة والفكريّة والثقافيّة، التي أصبحت في متناول أيدي الباحثين والمحققين من أساتذة الجامعات والعلماء والمبدعين، وغيرهم ممّن يتلّهب لاقتطاف هذه الثمار.

يأتي هذا العدد متممًا لما بدأت به المجلّة في إيصال ما تجده ضروريًا في طريق الارتقاء الفكريّ والمعرفيّ، فجاء البحث الأوّل دراسة عن كتاب (رياض المسائل) بين السابقة الفقهيّة والضرورة العصرية، ودرس البحث الثاني سيرة أحد أعلام الحائر ومنهجه في كتابة التاريخ؛ إذ اختصّ بسيرة الشيخ فضل عليّ القزوينيّ، ودراسة منهجه في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)، والبحث الثالث عُني بسيرة المقدّس الأردبيليّ، ومنهجه

نرات كربلاء

العلمي في حاشية التجريد، والرابع جاء ليظهر مواضع التصريح والتلميح للشاهد القرآني في كتاب صفوة الصفات للشيخ إبراهيم الكفعمي.

والخامس اختار دراسة التشكيل البياني في شعر التصوف لدى الشاعر فضولي البغدادي، والسادس تحدّث عن السيّد حسين بن مساعد الحسيني الحائري، واستعرض كتابه المخطوط الموسوم بـ(تحفة الأبرار من مناقب الأئمة الأطهار)، والسابع تتبّع رحلة نسخة التهذيب المخطوطة النفيسة إلى كربلاء المقدّسة في القرن العاشر الهجري، ويبيّن الفوائد التراثية المستقاة منها، وتأسيساً على الخطوة التي بدأها في الأعداد السابقة من نشر مخطوطة محقّقة انتقت الهيئة التحريرية للمجلّة إحدى مخطوطات الشيخ إبراهيم الكفعمي التي تحمل عنوان (غاية التلخيص في مسائل العويص).

وأما بحث اللغة الإنكليزية فعُني بدراسة مفهوم المعنى في مرجعيّات الشيخ إبراهيم الكفعمي في كتابه (رتق الفتوق في معرفة الفروق).

ونطمح أن تتناغم هذه الأبحاث مع أذواق قرائنا الكرام مجدّدين الدعوة للباحثين لتقديم أبحاثهم الأصيلة، التي تثري الساحة التراثية تحليلاً وتوثيقاً وتحقيقاً لتراث مدينة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

رئيس التحرير

نرات كرتباة

كلمة الهياة التهريرة

رسالة المجلة

لماذا التراث؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وآله الطاهرين المعصومين، أما بعد:
فأصبح الحديث عن أهمية التراث وضرورة العناية به وإحيائه ودراسته من
البدهيّات التي لا يحسن إطالة الكلام فيها؛ فإن الأمة التي لا تُعنى بتراثها ولا
تكرّم أسلافها ولا تدرس مآثرهم وآثارهم لا يرجى لها مستقبل بين الأمم.

ومن ميزات تراثنا اجتماع أمرين:
أولهما: الغنى والشمولية.

ثانيهما: قلّة الدراسات التي تُعنى به وتبحث في مكوناته وتبرزه، فإنّه في
الوقت الذي نجد باقي الأمم تبحث عن أيّ شيء مادّي أو معنويّ يرتبط
بإرثها، وتبرزه وتقيم المتاحف تمجيداً وتكريماً له، وافتخاراً به، نجد أمتنا
مقصّرة في هذا المجال.

فكم من عالم قضى عمره في خدمة العلم والمجتمع لا يكاد يُعرف اسمه،
فضلاً عن إحياء مخطوطاته وإبرازها للأجيال، إضافة إلى إقامة مؤتمرات أو
ندوة تدرس نظريّاته وآراءه وطروحاته.

لذلك كلّ وانطلاقاً من تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) التي أمرتنا بحفظ التراث؛
إذ قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) للمفضل بن عمر: «اكتب وبتّ علمك في
إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك»، بادرت الأمانة العامة للعتبة العباسية

تراث كربلاء

المقدّسة بتأسيس مراكز تراثية متخصصة، منها مركز تراث كربلاء، الذي انطلقت منه مجلة تراث كربلاء الفصلية المحكمة، التي سارت بخطى ثابتة غطت فيها جوانب متعدّدة من التراث الضخم لهذه المدينة المقدّسة بدراسات وأبحاث علمية رصينة.

لماذا تراث كربلاء؟

إنّ للاهتمام والعناية بتراث مدينة كربلاء المقدّسة منطلقين أساسيين: مُنطلقٌ عامٌّ، يتلخّص بأنّ تراث هذه المدينة شأنه شأن بقية تراثنا ما زال به حاجة إلى كثيرٍ من الدراسات العلمية المتقنة التي تعنى به.

مُنطلقٌ خاصٌّ، يتعلّق بهذه المدينة المقدّسة، التي أصبحت مزاراً بل مقراً ومقاماً لكثيرٍ من محبي أهل البيت (عليهم السلام)، منذ فاجعة الطفّ واستشهاد سيّد الشهداء سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فكان تأسيس هذه المدينة، وانطلاق حركة علمية يمكن وصفها بالمتواضعة في بداياتها بسبب الوضع السياسي القائم آنذاك، ثم بدأت تتوسّع حتى القرن الثاني عشر الهجري؛ إذ صارت قبلة لطلاب العلم والمعرفة وتزعمت الحركة العلمية، واستمرت إلى نهايات القرن الرابع عشر للهجرة؛ إذ عادت حينذاك حركات الاستهداف السلبي لهذه المدينة المعطاء.

فلذلك كلّه استحققت هذه المدينة المقدّسة مراكز ومجالات متخصصة تبحث في تراثها وتاريخها وما رشح عنها ونتج منها وجرى عليها عبر القرون، وتبرز مكتنزاتها للعيان.

اهتمامات مجلة تراث كربلاء:

إنّ أفق مجلة تراث كربلاء المحكمة يتسع بسعة التراث بمكوناته المختلفة، من العلوم والفنون المتنوعة التي عني بها أعلام هذه المدينة من فقه وأصول وكلام ورجالٍ وحديثٍ ونحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وحسابٍ وفلكٍ وأدبٍ إلى غير

نزات كربلاء

ذلك ممّا لا يسعُ المجالُ لاستقصاء ذكرها، دراسةً وتحقيقاً. ولما كان هناك ترابطٌ أكيدٌ وعلقةٌ تامّةٌ بين العلومِ وتطوُّرها وبين الأحداثِ التّاريخيّةِ من سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وغيرها، كانت الدراساتِ العلميّةِ التي تُعنى بتاريخ هذه المدينةِ ووقائعها وما جرى عليها من صلبِ اهتماماتِ المجلّةِ أيضًا.

مَنْ هم أعلامُ كربلاء؟

لا يخفى أنّ الضابطةَ في انتسابِ أيِّ شخصٍ لأيةِ مدينةٍ قد اختلفَ فيها، فمنهم من جعلها سنواتٍ معيّنة إذا قضاها في مدينةٍ ما عدّ منها، ومنهم من جعلَ الضابطةَ تدورُ مدارَ الأثرِ العلميِّ، أو الأثرِ والإقامةِ معاً، وكذلك اختلفَ العُرفُ بحسبِ المددِ الزمانيّةِ المختلفةِ، ولما كانت كربلاءُ مدينةً علميّةً محبّجاً لطلابِ العلمِ وكانت الهجرةُ إليها في مددٍ زمنيّةٍ طويلةٍ لم يكن من السهلِ تحديدُ أسماءِ أعلامها.

فكانت الضابطةُ فيمن يدخلون في اهتمامِ المجلّةِ هي:

١- أبناءُ هذه المدينةِ الكرامِ من الأسرِ التي استوطنتها، فأعلامُ هذه الأسرِ أعلامُ مدينةِ كربلاءِ وإن هاجروا منها.

٢- الأعلامُ الذين أقاموا فيها طلباً للعلمِ أو للتدريسِ في مدارسها وحوزاتها، على أن تكونَ مدّةُ إقامتهم معتدلاً بها.

وهنا لا بدّ من التنبيهِ على أنّ انتسابَ الأعلامِ لأكثر من مدينةٍ بحسبِ الولادةِ والنشأةِ من جهةٍ والدراسةِ والتعلّمِ من جهةٍ ثانيةٍ والإقامةِ من جهةٍ ثالثةٍ لأمراً متعارفٌ في تراثنا، فكم من عالمٍ ينسبُ نفسه لمدنٍ عدّة، فنجدُه يكتبُ عن نفسه مثلاً: (الأصفهانيّ مولداً والنجفيّ تحصيلاً والحائريّ إقامةً ومدفنًا إن شاء الله).

فمن نافلةِ القولِ هنا أن نقولَ: إنّ عدّ أحدِ الأعلامِ من أعلامِ مدينةِ كربلاءِ لا يعني بأيةِ حالٍ نفيَ نسبتهِ إلى مدينته الأصليّةِ.

محاوُرُ المِجلَّة:

لما كانت مِجلَّةُ تراثِ كربلاءِ مِجلَّةً تراثيَّةً متخصِّصَةً فإنَّها ترحَّبُ بالبحوثِ التراثيَّةِ جميعها من دراساتٍ، وفهارسٍ وبيليوغرافيا، وتحقيقِ التراثِ، وتشملُ الموضوعاتِ الآتية:

١- تاريخُ كربلاءِ والوقائعُ والأحداثُ التي مرَّت بها، وسيرةِ رجالِها وأماكنها وما صدرَ عنها من أقوالٍ ومأثوراتٍ وحكاياتٍ وحكم، بل كلِّ ما يتعلَّقُ بتاريخها الشفاهي والكتابي.

٢- دراسةُ آراءِ أعلامِ كربلاءِ ونظرياتِهِم الفقهيةِ والأصوليةِ والرجاليةِ وغيرها وصفاً، وتحليلاً، ومقارنةً، وجمعاً، ونقدًا علمياً.

٣- الدراساتُ البليوغرافيةُ بمختلفِ أنواعِها العامةِ، والموضوعيةِ كمؤلفاتٍ أو مخطوطاتٍ علماءِ كربلاءِ في علمٍ أو موضوعٍ معيَّن، والمكانيةِ كمخطوطاتهم في مكتبةٍ معيَّنة، والشخصيةِ كمخطوطاتٍ أو مؤلفاتٍ علمٍ من أعلامِ المدينة، وسوى ذلك.

٤- دراسةُ شعرِ شعراءِ كربلاءِ من مختلفِ الجهاتِ أسلوباً ولغةً ونصاً وما إلى ذلك، وجمعِ أشعارِ الذين ليس لهم دواوين شعريةٍ مجموعة.

٥- تحقيقِ المخطوطاتِ الكربلائية.

وآخرُ المطافِ دعوةٌ للباحثينَ لرفدِ المِجلَّةِ بكتاباتِهِم، فلا تتحقَّقِ الأهدافُ إلاّ باجتماعِ الجهودِ العلميَّةِ وتكاتِفِها لإبرازِ التراثِ ودراستهِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ الطاهرينَ المعصومينَ.

نزات كربلاء

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٣	رياض المسائل بين السابفة الفقهية والضروة العصرية	الشيخ زهير قاسم التميمي الحوزة العلمية / قم المقدسة
١٠١	الشيخ فضل علي القزويني دراسة في سيرته ومنهجه في كتاب (الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> وأصحابه)	أ.د. علي طاهر الحلي جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١٣٣	المقدس الأردبيلي ومنهجه العلمي في حاشية التجريد	الشيخ محمد العباسوي العتبة العباسية المقدسة / مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق
١٧٢	الشاهد القرآني في كتاب صفة الصفات للكفعمي (ت ٩٠٥ هـ) (بين التصريح والتلميح)	م. م. عمّار عبد العباس عزيز مديرية التربية / كربلاء المقدسة
٢١١	التشكيل البياني في شعر فضولي البغدادي (٩٠٠ - ٩٦٣ هـ) شعر التصوف اختياراً	م. د. حاكم فضيل الكلابي الكلية التربوية المفتوحة / النجف الأشرف

٢٦٩ تُحْفَةُ الْأَبْرَارِ مِنْ مَنَاقِبِ الْأُمَّةِ
أ.د. عبد الإله عبد الوهَّاب هادي
العرداوي
جامعة الكوفة / كلية التربية
الأساسية
الأطهار للسيّد حُسينِ بنِ
مُساعد الحُسينيّ الحائريّ (كان
حيّاً سنة ٩١٧هـ) تعريفٌ بالمؤلّف
وَعَرْضٌ للمخطوط

٣٠٧ رِحْلَةُ نُسْخَةِ نَفِيسَةٍ مِنْ تَهْذِيبِ
الشيخ: محمّد جعفر الإسلاميّ
الحوزة العلميّة / النجف الأشرف
الأحكام إلى كربلاء المقدّسة في القرن
العاشر الهجريّ (دراسة تحليليّة)

تحقيق التراث

٣٦٧ غَايَةُ التَّلْخِصِ فِي مَسَائِلِ
تحقيق
الشيخ سامر عبد الأمير الزبيديّ
الحوزة العلميّة / النجف الأشرف
الشيخ ضياء الشيخ علاء
الكربلانيّ
العويص
تأليف الشيخ إبراهيم بن عليّ ابن
حسن بن محمّد بن صالح ابن إسماعيل
اللويزيّ الكفعميّ (ت ٩٠٥هـ)
الحوزة العلميّة / كربلاء المقدّسة

Prof. Dr. Sami Al-Madhi
Al-Mustansiriyah University / College of Arts
The References of Sheikh Al-
Kaf'ami (d. 905 AH) in Ratq al-Fu-
toq fi Ma'rifat al-Furooq – A Study
on the Concept of Meaning 27

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ فِي كِتَابِ صَفْوَةِ الصِّفَاتِ
لِلْكَفْعَمِيِّ (ت ٩٠٥ هـ) بَيْنَ التَّصْرِيحِ وَالتَّمْلِيحِ

the Qur'anic witness
In the book "Safwat al-Sifat" by al-
Kaf'mi 905 AH
Between Explicitness and Allusion

م. م عمّار عبد العباس عزيز
مديرية التربية / كربلاء المقدّسة

Asst. Lecturer 'Ammar 'Abd al-'Abbas 'Aziz
Directorate of Education, Holy Karbala



المُلخَص

يَتَّخِذُ أصحابُ الأطروحاتِ العلميّةِ سُبُلًا حجاجيّةً لتوضيحِ ما أثبتوه وتقديره، وهذه طريقةٌ نفذت في العلومِ جميعها، ومن بينها العلومُ الإنسانيّةُ، فعالمُ اللّغة -مثلاً- يجعلُ نافلةَ قاعدتهِ شاهدًا لغويًّا من مصادرِ الاستشهادِ المعروفةِ، يُقوِّي بها قاعدتهِ ويحجِّجُ بها مستقبلها، فضلًا عن أنّ القاعدةَ أو المعنى قامَ أساسًا على ذلك الشّاهدِ، فالأخيرُ إذن ذو وظيفةٍ مزدوجةٍ.

وفي كتابِ (صفوة الصفاتِ في شرحِ دعاءِ السماتِ) للكفعميّ (ت: ٩٠٥هـ) نجدُ عمليّةَ الاستشهادِ بالنصِّ القرآنيِّ تمثّلُ ركنًا ركينًا اعتمده المؤلفُ؛ ليؤدّي وظائفَ متعدّدةً، وما هذا البحثُ إلا أن سلّطَ الضوءَ على هذه العمليّةِ بوصفها ظاهرةً واسعةً في الكتابِ، مثلتِ عمودًا راسخًا للبرهنةِ والتدليلِ على ما تمّ طرحه، وصورةً جليّةً لنشاطه الفكريِّ القائم على تحليلِ اللّغةِ وهندسةِ تقاطعاتها على المستوى الدلاليِّ، والنظرُ إلى الشّاهدِ وقعَ من وجهتين؛ التصريحُ به بالأنماطِ والوظائفِ، والتلميحُ إليه.

الكلمات المفتاحية: الشاهدُ القرآنيُّ، الكفعميّ، كتابُ صفوة الصفاتِ، دعاءُ السماتِ.

Abstract

The authors of scientific theses take arguing ways to clarify and establish what they have proven, and this method has penetrated all sciences, including the humanities, the world of language-for example-He makes the supererogatory rule of his as a linguistic witness from the well-known sources of martyrdom, with which he strengthens his rule and performs the pilgrimage to its future, in addition to the fact that the rule or meaning is based on that witness, so the latter has a dual function.

In the book (Safwat al-Sifat fi Sharh Duaa al-Samamat) by al-Kafami, we find the process of citing the Qur'anic text as an important pillar on which the compiler relied. To perform multiple functions, and this research only sheds light on this process as a broad phenomenon in the book, which represented a focused column to demonstrate and demonstrate what was proposed, and a popular image of his intellectual activity based on the evidence of the interaction of the two aspects of language analysis and the interaction of the two aspects of the language level. Declaring it with patterns and functions , alluding to it.

Keywords: The Qur'anic reference, al-Kaf'ami, the book of Safwat al-Sifat, Du'a al-Simat.

المقدمة

الحمدُ لله الواحدِ، المعينِ الواهبِ الشَّاهدِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبينا
ذي الذِكرِ الخالدِ وآله الكرامِ الأماجدِ، واللعنُ الدائمُ على أعدائهم إلى قيامِ
اليومِ الشَّاهدِ، وبعدُ

فإنَّ ذخيرةَ التراثِ الكربلائيِّ ما زالت تفيضُ بنميرها على ساحةِ البحثِ،
وقد دفعني هذا الثراءُ إلى التقاطِ جنبَةٍ تستحقُّ البحثَ والتقليبَ، في كتابٍ
لأحدِ الأعلامِ الذين عاشوا في هذه المدينة المقدَّسة التي أنتمي إليها،
وهو كتابُ (صفوة الصفات في شرح دعاء السَّمات) للشيخ إبراهيم بن
علي الكفعمي رحمته الله؛ إذ انتهتُ إلى أن المؤلفَ قد أكثرَ من التَّمثيلِ بالآياتِ
القرآنيَّةِ في أثناءِ شرحه؛ بوصفه - الشَّاهد - آليَّةً للتدليلِ وكشفِ ما تضمَّنَ
في الدُّعاءِ من معانٍ ودلالاتٍ، فلم يكتفِ بما جادت به مُتُونُ اللُّغةِ ليشرحَ
معاني الكلماتِ، وإنما التقت هذه بتلك، وغيرهما لتكوينِ مادَّةِ الكتابِ؛
لتلوحِ للباحثِ مرجعيَّاتٌ متعدِّدةٌ اضطلعَ بها المصنِّفُ، شهدت له بموسوعيَّةٍ
انعكست من محتوى كتابه.

وقد يتصوَّرُ - كما تصوَّرَ الباحثُ في الوهلة الأولى - أن مناسبةَ الاستشهادِ
بالآياتِ تخصُّ بيانَ معنَى لغويٍّ أو استعمالٍ، إلا أن الأمرَ امتدَّ أكثرَ من هذا
التصوُّرِ، فكانتِ المناسباتُ متعدِّدةً ستتضحُّ في أثناءِ البحثِ؛ والحالةُ هذه
لافتةٌ للنظرِ وداعيةٌ للوقوفِ عليها بحثاً؛ من أجلِ فهمِ قيمةِ الشَّاهدِ القرآنيِّ في
فكرِ المؤلِّفِ، والتعرُّفِ إلى مكتته ودقِّته في التوظيفِ، فضلاً عن تقديمِ قراءةٍ
فاحصةٍ تستجلي جانباً ثرياً احتواه هذا الكتابُ.

وبعد هذه المقدمة سيُجيبُ التمهيدُ الذي خُصَّصَ لبيانِ المقدماتِ المنهجيةِ التي تشتملُ مصطلحَ الشَّاهدِ القرآنيِّ، والتعريفَ بكتابِ صَفْوَةِ الصِّفَاتِ ومؤلفه. ثُمَّ ينشعبُ البحثُ على قسمينِ، الأوَّلُ تضمَّنَ التصريحَ بالشَّاهدِ القرآنيِّ، وفيه أبسطُ مطلبينِ: أنماطُ الاستشهادِ في الكتابِ، والوظائفُ التي حَقَّقَهَا الشَّاهدُ القرآنيُّ، والقسمُ الآخرُ بحثٌ فيه التلميحُ إلى الشَّاهدِ القرآنيِّ، وذلكَ عبرَ تعقُّبِ الإيماءاتِ التي استعملها المؤلفُ للدلالةِ على النصِّ المباركِ، بواسطةِ استعمالِ كلمةٍ أو تركيبٍ من آيةٍ، أو تلمسِ معنى تلكَ الآيةِ. وجاءَ بعدَ هذينِ القسمينِ ملخَّصٌ بالتناجٍ، فقائمةٌ بالهوامشِ والمصادرِ والمراجعِ التي اعتمدها البحثُ.

وقد فرضتِ المادةُ البحثيةُ أن يكونَ منهجُ البحثِ قائمًا على الرِّصدِ والتَّحليلِ والوصفِ، اعتمادًا على مصادرَ رصينةٍ، ولا أشكُّ أبدًا في وجودِ الزللِ وهو من دونِ قصدٍ حتمًا؛ فإنَّ كاتبَ هذه الأَسْطَرِ فقيرٌ في بضاعته، يطلبُ من القارئِ الكريمِ العذرَ، وأرجو من الله أن يأخذَ بأيدينا إلى ما فيه خيرٌ ونفعٌ للإسلامِ والمسلمينَ، والحمدُ لله من قَبْلُ ومن بعدُ.

التمهيد

على شرطِ البحثِ العلميِّ عقَدْتُ هذا التمهيدَ لبيانِ المفاهيمِ التي حملتها كلماتُ العنوانِ، من جهتي اللغيةِ والاصطلاحِ، وكذلك التعريفُ بالكتابِ ومؤلفه، ومن ثمَّ سيّضح للقارئِ الكريمِ مدارُ البحثِ وهدفه:

أولاً: الشَّاهدُ القرآنيُّ:

هذا المصطلحُ تتضايّفُ في إنتاجه كلمتان، نحنُ في غنى عن بيانِ معنى الكلمةِ الثانيةِ؛ فهي تدلُّ على النسبةِ للقرآنِ وهو معلومٌ؛ إذن بنا حاجةٌ لكشفِ معنى المنسوبِ أي كلمة (شاهد)، وهي في اللغةِ اسمٌ فاعلٌ من الفعلِ (شهدَ)، الأصلُ الذي يدلُّ على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ، ولا يخرجُ شيءٌ من فروعه عن هذه المعاني ^(١)، يُقالُ للذي يُبينُ عندَ القاضي ما يعلمه ويُظهره شاهداً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ^(٢).

والشَّاهدُ هو الحاضرُ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ^(٣)؛ أي تحضره ملائكةُ الليلِ والنهارِ، وتُطلقُ العربُ (الشَّاهدَ) على اللسانِ، تقولُ: ما لفلانٍ رُواءٌ ^(٤) ولا شاهدٌ؛ أي ما له منظرٌ ولا لسانٌ، وتُطلقه أيضاً على الملكِ

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: مادة (شهد).

(٢) سورة يوسف: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء: ٧٨.

(٤) الرواء هو المنظر، قال تعالى في سورة مريم الآية ٧٤: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا﴾. (والرئي بالكسر فالكسر فالكسور: ما رئي من المناظر، نقل في مجمع البيان عن بعضهم: أنه اسم لما ظهر وليس بالمصدر، وإنما المصدر الرأي والرؤية يدل

الموَكَّلِ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ يَحْضُرُ الْعَبْدَ وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ^(١)، وَمِنْ دَلَالَةِ الْحَاضِرِ أَنْ جَعَلُوا كَلِمَةَ (الشَّاهِدِ) مُقَابِلَةً لِلْغَائِبِ فِي حَدِيثِ عِلْمَاءِ اللُّغَةِ عَنِ الضَّمَائِرِ^(٢). لَقَدْ اسْتَغْنَى الْبَحْثُ عَنْ بَعْضِ الْمَعَانِي الْأُخْرَ الْمَذْكُورَةِ فِي مَتُونِ اللُّغَةِ؛ لِكِفَايَةِ مَا تَقَدَّمَ، فَالْكَلِمَةُ إِذْنٌ مِنَ الْمَشْتَرِكِ اللَّفْظِيِّ، وَظَهَرَ لَنَا مِنَ الْمَجْمُوعِ أَنَّ مَعْنَى (الشَّاهِدِ) فِي جَمِيعِ الْأَسْبِقَةِ وَالْإِطْلَاقَاتِ يَعُودُ لِلْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ فَارَسٍ (ت ٣٩٥ هـ) فِي مَقَابِيِسِهِ، وَهُوَ الْحَضُورُ الْعَيَانِيُّ وَالْعِلْمُ وَالْإِعْلَامُ بِالشَّيْءِ.

أَمَّا فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ فَيَخْتَلِفُ مَفْهُومُ الشَّاهِدِ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ، فَهُوَ عِنْدَ الْمُتَصَوِّفِ «عِبَارَةٌ عَمَّا كَانَ حَاضِرًا فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ، فَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْعِلْمُ فَهُوَ شَاهِدُ الْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْحَقُّ فَهُوَ شَاهِدُ الْحَقِّ»^(٣)، وَالْوَصُولُ لِلشَّاهِدِ عِنْدَهُمْ بِإِحْدَى الْحَوَاسِّ يُسَمَّى مُشَاهَدَةً.

وَعِنْدَ الْفُقَهَاءِ يُسْتَعْمَلُ مُصْطَلَحُ الشَّاهِدِ وَصِفًا لِلْحَدِيثِ الَّذِي يُؤَيِّدُ حَدِيثًا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِلَفْظِهِ، بَلْ بِمَعْنَاهُ، وَطَرِيقُ رِوَايَتِهِ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَيَكُونُ مَعْضِدًا وَمَقْوِيًّا^(٤)، وَالِاسْتِشْهَادُ عِنْدَهُمْ «إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى دَعْوَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ:

عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُرُونَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنُ﴾ فَالرَّأْيُ: الْفِعْلُ، وَالرَّئْيُ الْمَرْئِيُّ كَالطَّحْنِ وَالطَّحْنُ وَالسَّقْيُ وَالرَّمْيُ وَالرَّمِي)، يَنْظُرُ: الْمِيزَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: الْمَكْتَبَةُ الشَّيْخِيَّةُ، ١٤/١٠٠.

(١) يَنْظُرُ: لِسَانَ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (شَاهِد).

(٢) يَنْظُرُ: الصَّاحِبِيُّ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا وَسُنَنِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا: ١٦٣.

(٣) التَّعْرِيفَاتُ، الْجُرْجَانِيُّ: ١٢٤، وَيَنْظُرُ: كَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ وَالْعِلْمِ: ١ / ١٠٠٣.

(٤) يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْفِقْهِيُّ: ٢٠٢.

يستشهدُ على صحّة هذا بالحديث أو بالآية»^(١).

وكانت الصّلة الوثيقة بين الفقه والعربية مُفضيةً إلى تشابه في بعض الإجراءات بينهما، ومنها أن وجدنا عند علماء العربية عمليّة الاستشهاد والشّواهد، وتسميتها بالشّاهد، إلا أن تعريف الشّاهد عندهم جاء متأخراً، فهو «الجزئيّ الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزئيّ من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيّتهم»^(٢)؛ أي إنه كلامٌ عربيّ فصيحٌ صحيح النقل، يوظفه المشتغلون بالعربية لإثبات استعمال أو قاعدة، والعملية هذه تُسمّى الاستشهاد أو الاحتجاج^(٣).

على ما تقدّم فإن الشّاهد القرآنيّ - على وفق إجراء أهل اللغة - جزءٌ من آية أو آية كاملة أو أكثر، يذكرها المشتغل في اللغة لتكون دليلاً على صواب الاستعمال والقاعدة، أو لتكون بياناً لمعنى، ومع الاستشهاد بالقرآن يُستشهد بما صحّ من أقوال النبي ﷺ^(٤)، وكلام العرب بضوابط مكانية وزمانية معيّنة^(٥)، وترجع الثلاثة على الترتيب نفسه إلى أصلٍ من أصول النحو العربيّ يُسمّى (السّماع).

إن وظيفة الشّاهد التي اقتصر على ذكرها المعجميون وغيرهم - فيما طالعت - تأتي عقب وضع القاعدة والحكم اللغويّ، وبقيناً فإن أيّ شاهدٍ

(١) معجم لغة الفقهاء: ٦١.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ١٠٠٢.

(٣) ينظر: في أصول النحو: ٦.

(٤) اختلف علماء اللغة في الاستشهاد بأحاديث النبي ﷺ، وفي ذلك تفاصيل راجعها في: الاقتراح، السيوطي: ٤٣ - ٤٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧ و ٤٨.

صحيحٌ يُسهّمُ بشكلٍ رئيسٍ في صوغِ القاعدةِ والحكمِ والرأيِ عندَ العالمِ، حتّى وإن لم يُصرّحْ بذلك، وعليه تكونُ للشاهدِ وظيفتانِ عامّتانِ، قِليَّةٌ وبعديَّةٌ، الأولى تتعلّقُ بالعالمِ وتكونُ حينَ الاستقراءِ، وعليها يبنى القاعدةُ، والأخرى تأتي بعدَ إبرامِ القاعدةِ، وتُمثّلُ دعامةً للقاعدةِ ووسيلةً لإقناعِ وحجاجِ للخصمِ أو المتعلّمِ.

وينبغي أن نذكرَ هنا أنّ بعضَ الأحكامِ عندَ الفقهاءِ وأهلِ اللغَةِ لا تكونُ متّفقةً معَ ظاهرِ الشَّاهدِ القرآنيِّ؛ إذ يقومُ هؤلاءُ بتأويلِ النَّصِّ عن ظاهره لينسجمَ معَ حكمهم^(١)، ومن ثمَّ لا يكونُ النَّصُّ المباركُ شاهداً لهم بل عليهم، والذي يحملُهُم على هذا الفعلِ اعتباراتٌ، منها الأصولُ الاعتقاديَّةُ والنظرةُ العقليَّةُ، وإذا كانَ ثَمَّةَ ما يسوِّغُ ذلكَ في الفقه، فإنَّه في النحوِّ غيرُ مقبولٍ؛ لأنَّ علمَ النحوِّ مستنبطٌ من كلامٍ متنوعٍ بمستوياته، وليسَ من القرآنِ فحسب.

ثانياً: صِفْوَةُ الصِّفَاتِ فِي شَرْحِ دَعَاءِ السَّمَاتِ:

يتتبَّعُ البَحْثُ الشَّاهِدَ الْقُرْآنِيَّ ويرصده في شرحِ المؤلِّفِ لدَعَاءِ السَّمَاتِ العَظِيمِ، وهو من الأدعية التي تُقرأ في آخرِ ساعةٍ من يومِ الجمعةِ، وقد رواه الخاصَّةُ بسندٍ عن الإمامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاقِرِ (ت ١١٤ هـ)، وعن الإمامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ (ت ١٤٨ هـ) عليه السلام، ولأجلِ عَظَمَتِهِ وآثارِهِ العَجيبيَّةِ وما فيه من معانٍ عميقةٍ وإشاراتٍ بها حاجةٌ إلى توضيحٍ؛ تولَّى شرحَه ثَلَاثَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فقد ذَكَرَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَرْحاً لَهُ^(٢)، وقد وصلَ عددُ الشُّرُوحِ فِي مَوْسُوعَةِ (ويكي شيعية) على الإنترنت إلى واحدٍ وثلاثينَ شَرْحاً^(٣).

(١) ينظر: أصول النحو العربي: ١٥٧.

(٢) ينظر: صِفْوَةُ الصِّفَاتِ: ٢١ - ٢٣.

(٣) ينظر: بحار الأنوار، المكتبة الشيعية: ٩٦/٧٨.

و يُعدُّ شرحُ الكفعميِّ للدُّعاءِ المُباركِ ثانيَ تلكَ الشُّروحِ؛ وأوَّلُها استقلالاً في التصنيفِ؛ لذلكَ تمَّتْ كتابُه بشهرةٍ ومكانةٍ عاليتين، قالَ محقِّقُ الكتابِ: «ولعلَّه لا مبالغةَ إن قلنا: إنَّ هذا الكتابَ الذي بينَ يديكَ هو المصدرُ الأساسيُّ لجُلِّ - إن لم نقل كلِّ - من صنَّفَ بعده كالعلامةِ المجلسيِّ وغيره في شرحِ هذا الدُّعاءِ المُباركِ. خصوصاً وأنَّ هذا الكتابَ المُباركِ لا يُعدُّ شرحاً لألفاظِ الدعاءِ فحسب، بل هو في الحقيقةِ موسوعةٌ علميَّةٌ تشتملُ على مواضعٍ عديدةٍ قلَّ ما تجتمعُ في كتابٍ واحدٍ»^(١).

ويبدو أنَّ الكفعميَّ أُلِّفه وهو في جبلٍ عاملٍ؛ إذ كانَ تأليفُ الكتابِ بطلبٍ من أحدِ الفضلاءِ فيه، وهذا الأخيرُ كانَ لا يقلُّ شأنًا في العلمِ؛ لقولِ صاحبِ الكتابِ: «وجعلتُ هذه الرسالةَ هديَّةً إلى شريفِ جنابه، لائحةً لأعتابِ أبوابه، وإن كنتُ في ذلكَ كمن يهدي التمرَ إلى هجر»^(٢).

لم يذكر الكفعميُّ سببَ تسميةِ كتابه بـ (صفوة الصفات)، والصفوةُ في اللغةِ خلاصةُ الشيءِ، فيكونُ المعنى خلاصةُ الصفاتِ، أمَّا عن سببِ تسميةِ الدعاءِ بـ (دعاءِ السماتِ) فقد قيلَ إنَّ السماتِ هي العلاماتِ، وكانَ عليه علاماتُ الإجابةِ، وقيلَ: السماتُ هي الأسماءُ أو الاسمُ الأعظمُ^(٣).

ثالثاً: الكفعميُّ:

هو الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ محمَّدِ بنِ صالحِ

(١) صفوة الصفات: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.

ابن إسماعيلِ العامليِّ الكفعميِّ مولدًا، واللويزيِّ محتدًّا^(١)، والجبعيِّ أبًا، والحرثيِّ نسبًا، والتقيِّ لقبًا، والإماميِّ مذهبًا، والجبشيتيِّ مدفنًا^(٢). فالكفعميُّ إذن نسبهٌ إلى المدينةِ التي وُلِدَ فيها سنةَ (٨٤٠ هـ)، وهي قرية (كفر عيما) في جبلِ عامل، وهذه النسبةُ ليستِ قياسيةَّةً، وإنَّما هي نظيرةٌ (عشميِّ) إلى عبدِ شمس.

ذَكَرَ الكفعميُّ كثيرٌ من المترجمينَ وأهلِ العلمِ، من الخاصَّةِ والعامَّةِ، وأحسنوا الثناءَ عليه، فقد ذَكَرَهُ الحرُّ العامليُّ (ت ١١٠٤ هـ)، قائلاً: «كَانَ ثَقَّةً فاضلاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً ورعاً»^(٣)، وقالَ فيه المجلسيُّ صاحبُ البحارِ (ت ١١١١ هـ): «من مشاهيرِ الفضلاءِ والمحدثينَ والصُّلحاءِ المتورِّعينَ... وله تصانيفٌ كثيرةٌ في الدَّعواتِ وغيرها»^(٤)، أمَّا الميرزا عبد الله أفندي الأصبهانيُّ (ت ١١٣٠ هـ) فقالَ عنه: «العالمُ الفاضلُ الكاملُ الفقيهُ المعروفُ بالكفعميِّ، من أجلةِ علماءِ الأصحابِ، وكانَ عصرُهُ متصلاً بزمنِ خروجِ الغازي في سبيلِ الله الشاهِ إسماعيلِ الماضيِ الصفويِّ»^(٥).

درسَ الكفعميُّ علومَ اللغَةِ والدينِ على يدِ مجموعةٍ من كبارِ الشيوخِ، وقد أجازَهُ بعضهم في الروايةِ، كالسيِّدِ حسينِ بنِ مساعدِ الحسينيِّ الحائريِّ (ت ٩١٠ هـ، ٩١٧ هـ)، والسيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ الحسينِ بنِ سلطانِ الموسويِّ،

(١) المحتدُّ هو الأصل، فأصلُ آبائه من قرية اللويزة في جبلِ عامل في لبنان، ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥.

(٢) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١، وطبقات أعلام الشيعة، أغا بزرك: ٧ / ٦.

(٣) أمل الآمال: ١ / ٢٨.

(٤) نقل القول الشيخ عبد النبي الكاظمي في كتابه (تكملة الرجال)، ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥.

(٥) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١.

ووالده، وقد سكن كربلاء مدّة في أرض تُسمى عقير^(١).

له تصانيفٌ متعدّدة في علوم شتى، ولا سيّما في العربيّة والأدب، ومنها كتابه الذي نبحت فيه، وكتابه الأشهر (المصباح) الذي سمّاه بـ (جَنَّة الأمان الواقية وجَنَّة الإيمان الباقية)، وهو في الأدعية والصَّلوات وبعض الفوائد، وقد عدّد السيّد مُحسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) تسعة وأربعين مؤلّفًا له^(٢)، وقد تزيد عن هذا العدد^(٣).

وفيما يخصُّ وفاته قد ذكر بعض المترجمين أنه توفّي سنة (٩٠٠ هـ)، ودُفن في كربلاء، فقد أوصى في قصيدة له أن يكون مدفنه بأرض الحسين عليه السلام^(٤)، قال:

سَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَدْفِنُونِي إِذَا مِتُّ فِي قَبْرِ بِأَرْضِ عَقِيرِ
فِيَّيْ بِه جَارُ الشَّهِيدِ بِكَرْبَلَا سَلِيلِ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرِ مُجِيرِ
إِلَّا أَنْ بَعْضَهُمْ قَالَ بَأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى جَبَلِ عَامِلَ، وَتَوَفِّيَ هُنَاكَ سَنَةَ (٩٠٥ هـ)،
وَدُفِنَ فِي قَرْيَةِ جَبَشِيَّتْ؛ إِذْ ظَهَرَ لِلنَّاسِ فِيهَا قَبْرٌ عَلَيْهِ صَخْرَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا
اسْمُهُ، فَصَارَ مَزَارًا يُتَبَرَّكُ بِهِ^(٥).

(١) ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤.

(٢) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١، وأعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥ و ١٨٦.

(٣) ينظر: مقدّمة كتاب صفوة الصفات للمحقّق: ١٦ - ٢٠.

(٤) ينظر: الطليعة من شعراء الشيعة، محمّد السماوي: ١ / ٨٤ و ٨٥.

(٥) ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤، و علماء في رضوان الله: ١٤٦.

القسم الأول: التصريح بالشاهد القرآني

في تفحصنا لكتاب الكفعمي وجدنا إكثاراً لافتاً من الاستشهاد القرآني؛ إذ يزيد عدد الشواهد التي ذكرها على المئتين والسبعين شاهداً، فضلاً عن وجود شواهد أخر نقلها من كتب كانت مرجعاً له في شرحه، في الغالب كان يُشير إلى أصحابها وآرائهم.

ولا يخفى على الباحث أثر الاستشهاد بالنص القرآني؛ إذ يعدُّ رصيماً معرفياً عميقاً وواسعاً لا يستغني عنه أيُّ مدوّن في العلوم الإسلامية أو غيرها؛ لأنه أعلى الكلام وأصدقُه وأخلصُه من التحريف؛ ولذلك كان استثمار الشاهد القرآني في مناسبات متعدّدة وأغراض شتى، فاقت جميع أنواع الشواهد غير القرآنية في الكتاب.

ومع هذه الأهميّة للشاهد القرآني نعتقد بداعٍ آخر حمل المؤلف على الإكثار من الاستشهاد بالنص المبارك، وهو ثقافته القرآنية التي اضطلع بها؛ إذ أخذ يعرض كثيراً من التفسيرات لما يستشهد به، ويُقلّب الوجوه المعنوية للكلمات التي تكرر استعمالها في القرآن الكريم، وقد نراه يستأنس بلغة القرآن ليُقوّي روايته للدعاء، فقد قال معلقاً على لفظ الدعاء (وخضعت له الأصوات): «وخضعت الأصوات: أي خففت وخفضت وخفيت. وقراءة: وخسعت الأصوات بالشين أولى من خضعت بالضاد وإن كان معناهما واحداً اتباعاً للفظ التنزيل في قوله تعالى: ﴿وَحَسَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾» (١)(٢).

وبعد هذه التوطئة السريعة سنتناول في مسألة التصريح بالشواهد محورين

(١) سورة طه: ١٠٨.

(٢) صفة الصفات: ١٢٥.

يُمَثِّلانِه، الأوَّلُ يَبْحَثُ فِي قَضِيَّةِ الْأَنْمَاطِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْكُفْعَمِيُّ فِي إِيرَادِ الشَّاهِدِ، وَالْآخَرُ نَجْعَلُهُ مَسْرِدًا لِلْوِظَائِفِ الَّتِي قَدَّمَهَا الشَّاهِدُ.

أولاً: أنماط الاستشهاد

مَنْ الطَّبِيعِيُّ أَنْ لَا يَسِيرَ الْمُؤَلَّفُ بِوَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عَرْضِ الشَّاهِدِ الْقُرْآنِيِّ، فَقَدْ ثَبَّتَ الْمَلَا حِظَةَ أَكْثَرَ مِنْ نَمِطٍ لِلتَّصْرِيحِ بِهِ عِنْدَهُ، سَنَأْتِي عَلَيْهَا تَبَاعًا:

١. ذِكْرُ مَوْطِنِ الشَّاهِدِ مِنَ الْآيَةِ:

أَيُّ الْاِكْتِفَاءِ بِجِزءٍ مِنَ الْآيَةِ عَوْضًا عَنْ ذِكْرِهَا كَامِلَةً، وَهَذَا الْجِزءُ هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ وَالِدَاعِي لِاسْتِعْمَالِهِ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ هَذَا النَّمِطُ مَا جَاءَ فِي مَسْرِدِهِ لِلْمَعَانِي الْمَحْتَمَلَةِ لِمَفْرَدَةٍ (كَلِمَةٍ) الَّتِي وَرَدَتْ فِي الدِّعَاءِ فِي نَصِّهِ (وَبِكَلِمَتِكَ الَّتِي خَلَقْتَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، قَالَ: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ يَحْيَى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(١)؛ أَيُّ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤْمِنًا بِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ كَلِمَةً لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ إِلَّا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَحَدَّهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: «كُنْ» مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ آخَرَ»^(٢).

فَفِي هَذَا النَّصِّ مِنْ شَرْحِهِ أَوْرَدَ شَاهِدَيْنِ قُرْآنِيَيْنِ؛ لِيَسْتَدَلَّ بِهِمَا عَلَى أَنَّ مَنْ مَعَانِي مَفْرَدَةٍ (كَلِمَةٍ) فِي الْقُرْآنِ عَيْسَى النَّبِيِّ، وَفِي الشَّاهِدَيْنِ اجْتِزَأَ مِنَ الْآيَةِ مَوْطِنَ الشَّاهِدِ وَذَكَرَهُ مِنْ دُونِ تَكْمِلَةِ الْآيَةِ كُلِّهَا، بَلْ اِكْتَفَى مِنَ الشَّاهِدِ الثَّانِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ وَهِيَ (كُنْ)، حَتَّى أَنْ مُحَقِّقَ الْكِتَابِ لَمْ يُخْرِجِ الْآيَةَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تُحِيلُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ، هُنَّ الْآيَتَانِ ٤٧ وَ ٥٩ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَالْآيَةُ ٣٥ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ.

(١) سورة آل عمران: ٣٩.

(٢) صفوة الصفات: ١٤١.

إنَّ هذا الأسلوبَ في ذكرِ الشَّاهدِ كانَ الأكثرَ في كتابِ الكفعميِّ؛ لِما يَتميزُ به من إيجابياتٍ، فهو يجعلُ القارئَ يتفاعلُ مع بؤرةِ الشَّاهدِ مباشرةً، من دونِ بحثٍ وتشتيتٍ، فضلاً عن كونه مظهرًا يُحقِّقُ الاقتصادَ لدى المؤلِّفِ في عرضِ مادَّتهِ العلميَّةِ، شرطٌ أن لا يكونَ الاجتزاءُ مخللاً بالغرضِ ومُبهمًا لمحله.

وقد اعتدنا على هذه الطريقةِ في المدوَّوناتِ القديمةِ، اللغويَّةِ وغيرِها؛ سواءً أكانَ الاستشهادُ بالآياتِ القرآنيَّةِ أم بالشعرِ، ففي الشعرِ يُذكرُ صدرُ البيتِ أو عجزُه بحسبِ الموطنِ، ويأتي الحاشي لِيكملَ بقيةَ البيتِ في أثناءِ تخرجه له.

٢. ذِكرُ الآيةِ كاملةً:

ونعني أنَّ المصنِّفَ يذكُرُ الآيةَ كُلِّها من دونِ أن يقطعَ منها شيئاً، بل قد يذكُرُ آيتينِ معاً، وهنا نسألُ: ما الأسبابُ التي تحملُه على ذِكرِ النِّصِّ كاملاً بعدَ ما عرفنا نجاعةَ ذِكرِ موطنِ الشَّاهدِ فحسبُ؟ لقد قمنا باستقراءٍ للشواهدِ من هذا النمطِ في محاولةٍ للوقوفِ على دواعي ذِكرِ النِّصِّ كشاهدٍ بكامله، فوجدنا هذا النمطَ قليلاً جدًّا بالقياسِ مع نمطِ الاستجزاءِ.

ويمكنُ القولُ: إنَّ سببَ ذِكرِ النِّصِّ كُلِّه يرجعُ لحاجةٍ دلاليَّةٍ يُغطيها كاملُ النِّصِّ، فمثلاً نجدُه في تعدادِ خواصِّ الشُّكرِ يذكُرُ: «أَنَّ الشُّكْرَ يَسْتَدْعِي سَبْقَ النِّعْمَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾» (١) (٢). فنلحظُ أنَّه سبقَ ذِكرَ الشَّاهدِ بأنَّ الشُّكْرَ يكونُ عن نعمةٍ تسبقُه، فيكونُ الشُّكْرُ بسببِها، ثُمَّ ساقَ الشَّاهدَ الذي يتكوَّنُ من جزءين؛ الأوَّلُ

(١) سورة النمل: ٧٣.

(٢) صفوة الصفات: ٣١٧.

ذُكِرَتْ فِيهِ النِّعْمَةُ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ وهي موجبةُ الشكرِ، والآخِرُ موضوعُ الشكرِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. إذن فالآيةُ كُلُّهَا شاهدٌ، ولا يصحُّ علمياً ذكرُ جزءٍ منها؛ لأنَّ غرضَ الاستشهادِ سيغيّبُ.

وقد يكونُ السببُ وجودَ علاقاتٍ تركيبيةٍ غيرِ منفكّةٍ، توجبُ ذكرَ الآيةِ بالكاملٍ؛ ليتمَّ التركيبُ ومن ثمَّ المعنى. ومن الأمثلةِ على هذا الأمرِ قوله وهو يُعَدُّدُ معانيَ الفعلِ (فرق): «وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(١)؛ أي يُقضى»^(٢)، فلا يُمكنُ في هذه الآيةِ أن يجتزأَ منها محلُّ الشاهدِ وهو الفعلُ (يُفرقُ)؛ لأنَّ شبهَ الجملةِ (فيها) معلّقةٌ به، وما بعده فاعلٌ واجبُ الذكرِ معَ ما أُضيفَ إليه، ثمَّ صفتُهُ.

ولا نريدُ التّطويلَ بذكرِ مزيدٍ من الأمثلةِ، سوى أن بيّنا ما عَنَ للبحثِ من وجوهِ استدعتَ ذكرَ الآيةِ كاملةً، وربّما يستدعي الأمرُ ذكرَ آيتينِ معاً، على نحو ما في حديثه عن بلاغةِ مجيءِ المفردِ في سياقِ النفي، قال: «وكذا حكمُ تمرّةٍ وتمرٍ فإنَّ استعمالَ الواحدةِ في النفي؛ كقولك: مالي تمرّةٌ، أبلغُ في نفي التمرِ من قولك: مالي تمرٌّ. وفي الإثباتِ بالعكسِ فإنَّ: عندي تمرٌّ أبلغُ في إثباتِ التمرِ من: عندي تمرّةٌ، ولهذا قيلَ في قصّةِ نوحٍ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)؛ لأنَّ نفي الضلالةِ أبلغُ من نفي الضلالِ عنه رأساً، والمرادُ من الضلالةِ المرّةُ الواحدةُ لا المصدرُ فاعرفه»^(٤).

(١) سورة الدخان: ٤.

(٢) صفوة الصفات: ٢١٨.

(٣) سورة الأعراف: ٦٠ و ٦١.

(٤) صفوة الصفات: ١٦٠.

لَا شَكَّ أَنَّ ذَكَرَ الْآيَتَيْنِ بِوصفِهِمَا شَاهِدًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ هُمَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ؛ لِأَنَّهُ يُبَيِّنُ غَرَضَ سَوْقِهِمَا بِشَكْلٍ وَاضِحٍ، فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِ نُوْحٍ مَفْرُودٌ (ضَلَالَةٌ) فِي النِّفْيِ، وَقَوْمُهُ لَمْ يَقُولُوا لَهُ: أَنْتَ (فِي ضَلَالَةٍ)، بَلْ بِصِيغَةِ الشَّمُولِ، فَكَانَ رَدُّ نُوْحٍ حَسَنًا وَبَلِيغًا؛ لِأَنَّهُ نَفَى أَنْ تَلْتَبَسَ بِهِ ضَلَالَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمَنْ ثَمَّ فَلَيْسَ لَهُ ضَلَالَتَانِ أَوْ أَكْثَرُ، فَضَلًّا عَنِ أَنْ يَشْمَلَهُ الضَّلَالُ وَيُحِيطُ بِهِ، وَهَذَا التَّعْبِيرُ لَا يُؤَدِّيهِ غَيْرُهُ^(١).

ثَابِتًا: وَظَائِفُ الشَّاهِدِ الْقُرْآنِيِّ

١. الْوِظِيفَةُ الْمَعْجَمِيَّةُ:

فِي تَفْحِصِي كِتَابِ صِفْوَةِ الصِّفَاتِ وَجَدْتُ مَعْظَمَ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ سَاقَهَا الْمُؤَلِّفُ لِأَغْرَاضٍ مَعْجَمِيَّةٍ؛ فَقَدْ وَضَعَ لِهَذَا الْغَرَضِ أُسَاسًا، وَالْوِظِيفَةُ الْمَعْجَمِيَّةُ تَكْمُنُ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ الْأَسَاسِ أَوِ الْعَامِّ، أَوِ الْخَاصِّ عَلَى وَفْقِ الْاسْتِعْمَالِ؛ إِذْ يَذْكَرُ الْمَعْجَمِيُّونَ مَعْنَى الْكَلِمَةِ فِي إِطَارِ تَرَكَيبٍ أَوْ جُمْلَةٍ، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ بِـ (السِّيَاقِ الْمَقَالِي)^(٢). وَالْكَفَعْمِيُّ سَارَ عَلَى هَذَا النُّهْجِ فِي بَيَانِ كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِي كَلِمَاتِ الدُّعَاءِ، عَبَّرَ سَرْدِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْإِشَارَةَ إِلَى تَعَدُّدِ تَصَارِيْفِ الْكَلِمَةِ وَالْفُرُوقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يَفْرُضُهَا بِنَاءُ الْكَلِمَةِ وَسِيَاقُهَا الْاسْتِعْمَالِيَّ.

وَلِنَأْخِذَ مِثَالًا عَلَى هَذِهِ الْوِظِيفَةِ فِي كَلَامِهِ عَنِ كَلِمَةِ (جَعَلَ) الَّتِي وَرَدَتْ فِي فِقْرَةِ الدُّعَاءِ (وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً)، قَالَ: «الْجَعْلُ: هُنَا بِمَعْنَى الصِّيْرُورَةِ، وَمِنْهُ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)؛ أَي صَيَّرْنَا هُمْ... وَيَكُونُ

(١) يَنْظُرُ: الدَّرِّ الْمَصُونُ: ٥ / ٣٥٥.

(٢) يَنْظُرُ: الْمَعْنَى وَظَلَالِ الْمَعْنَى: ٣٧٠.

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٢٧.

بمعنى الوصف، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾^(١)؛ أي وصفوهم بذلك، وبمعنى الخلق كقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ﴾^(٢). وبمعنى التبيين، كقوله تعالى ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾^(٣)؛ أي تبيّنتم أنّ الله عليكم رقيباً وشاهداً^(٤).

هذه هي واحدة من خصائص الكلمة في اللغات؛ إذ يتحدّد معناها عند دخولها في حيز الاستعمال، أمّا في حالة انزاعها عنه فهي حمالة لأكثر من معنى، وإن تبادر منها إلى الذهن معنى بعينه؛ لهذا قال أحد فلاسفة اللغة المحدثين إنّ للكلمة بشكلٍ عامٍّ قدرًا «من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات»^(٥).

وقد اختار الكفعمي من بين هذه المعاني (الصيرورة) ليكون المعنى المقصود للجعل في الدعاء؛ أي إنّ الله جلّ جلاله صيرّ الشمس ضياءً، أمّا استشهادُه بباقي الشواهد المصاحبة، فكان لأجل ذكر الوجوه الدلالية الأخر في استعمال هذا الفعل على المستوى القرآني؛ أي في غير دلالة الصيرورة.

ومما يقرب من السالف ذكره استشهادُه بنصّ قرآنيّ لبيان أصل الوضع، فقد ذهب يتكلّم عن البروج الفلكية وأسمائها، ثمّ قال: «وأصل البروج القصور والحصون، قال تعالى: ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾^(٦)، وسُمّي كل

(١) سورة الزخرف: ١٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٣) سورة النحل: ٩١.

(٤) صفوة الصفات: ١٥٧.

(٥) اللغة، فندريس: ٢٤٢.

(٦) سورة النساء: ٧٨.

وَاحِدٍ مِنَ الْبُرُوجِ عَلَى التَّشْبِيهِ بِمَا سُمِّيَ بِهِ»^(١).

لقد وردت كلمة (بروج) في القرآن الكريم في أربعة مواضع، ثلاثة منها تدلُّ على التسمية الفلكية، ولأن هذه الثلاثة لا تنفع المؤلف لبيان معنى الكلمة في أصل وضعها؛ لجأ إلى الشاهد القرآني المذكور؛ لأنه يُعطي المعنى الأصلي، فالبرج هو الحصن أو القصر الذي يتخذُه الناس ليكون ملجأً لهم، ويبدو أن هذا الأصل جرى عليه تطوُّرٌ دلاليٌّ، فالعرب لم تكن تعرف (بروج السماء) وإنما تعرف (منازل القمر)^(٢)، فانتقلت الدلالة من معنى الحصن إلى منزل القمر، فالتسمية جاء بها القرآن الكريم؛ إذ إنَّ منزل القمر ملجأً له ومحطٌّ، فاتَّحد هذا المعنى مع أصل الوضع بلحاظ الصِّفة.

ولم يكتفِ ببيان هذا المعنى بل راح يفصّل الحديث عن مقدار البرج الواحد، فهو يمثّل ثلاثين درجةً من مسار الفلك الذي تدورُ في حيزه النجوم، البالغ ثلاث مئة وستين درجةً، وعلى هذا التقدير يكون في الفلك اثنا عشر برجاً^(٣).

٢. الوظيفة الصرفية:

الصرف علمٌ يتناول بناء الكلمة من دون حرف الإعراب، فيلاحظ ما يطرأ على هذا البناء من أصالة أو زيادة أو حذف أو قلب أو تحريك أو إبدال أو اشتقاق^(٤)، وهو علمٌ ظهر لصيقاً بعلم النحو في بدايات تدوين قواعد اللغة،

(١) صِفْوَةُ الصِّفَاتِ: ١٧٨.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد: مادّة (برج).

(٣) ينظر: لسان العرب: مادّة (برج)، و صِفْوَةُ الصِّفَاتِ: ١٧٣.

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ١٩.

ويعدُّ مقدّمًا على النحو في الدراسة وأصعب منه^(١)، وللصيغة الصرفية معانٍ تُسهّم في تكوين المعنى العام للكلام.

لقد حضر الشاهد القرآني مصرّحًا به في كتاب صفوة الصفات بوصفه موظفًا صرفيًا في مواطن متعدّدة، منها ما أورده الشيخ الكفعمي دليلًا على تأويل الصيغة الصرفية عن ظاهرها، قال: «وفي صفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنور المتجرد» والعرب تقول للحسن المشرق اللون: أنور... وأراد بالأنور النير فوضع أفعال في موضع فعيل كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٢)؛ أي هيّن عليه^(٣).

محلُّ الشاهد كلمة (أهون) التي هي على صيغة التفضيل (أفعل)، وعند الشارح أن المراد منها ليس دلالة التفضيل الظاهرة في الكلام، بل أريد (هيّن) التي هي صيغة من صيغ الصفة المشبهة، وهو استشهاد أراد به أن يقول إن (أنور) تأويلها (نير).

والحقيقة أن هذا العدول الصيغي في النصّ المبارك له ما يسوغه من جهة المعنى عند عموم المفسّرين وأهل اللغة؛ إذ لو حُمِلَ الكلام في الشاهد على الظاهر لكان المعنى أن إعادة الخلق على الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر هوأنا من بداية الخلق، وهو معنى «ينافي كون قدرته مطلقة غير محدودة فإن القدرة اللامتناهية لا تختلف حالها في تعلّقها بشيء دون شيء فتعلّقها بالصعب والسهل على السواء فلا معنى لاسم التفضيل هنا»^(٤). أما القصديون من أهل اللغة فلا

(١) ينظر: المنصف: ١ / ٤ و ٥.

(٢) سورة الروم: ٢٧.

(٣) صفوة الصفات: ١٦٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ١٧٧ و ١٧٨.

يقبلونَ هذا التَّأْوِيلَ، بل يأخذونَ بالصيغَةِ الظَّاهِرَةِ ويوجِّهونَ المعنى، بما ينسجمُ والاعتقادَ بمطلقِ القُدْرَةِ الإلهيَّةِ، وهو موضوعٌ لا يسعُ المجالُ هنا لذكره.

ومن الاستشهاداتِ القرآنيَّةِ الموظَّفةِ في الجانِبِ الصرْفِيِّ ما ساقه في أثناءِ حديثه عمَّا يُسمَّى بـ (المثنى التَّغْلِيبيِّ)، الذي يعني تثنيةً شبيهيَّةً بلفظِ الغالبِ منهما أو الأشهرِ، ولا يصحُّ تجريدُه وعطفُ مثله عليه، مثلُ (العمران) و(الأشتران) ^(١). قال: «والقمران: الشمسُ والقمرُ. إن قلتَ: وزنُ قمر على فَعَلٍ وشمس على فَعَلٍ، وساكنُ العينِ أخفُّ من متحرِّكِها، فلمْ غلبَ الثَّقِيلُ على الخفيفِ؟ قلتُ: إنَّ القمرَ مذكَّرٌ والشمسُ مؤنَّثَةٌ، وإذا اجتمعا غلبَ المذكَّرُ المؤنَّثُ؛ لأنَّ المذكَّرَ هو الأصلُ، قال تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ ^(٢)، ذكَّرَ لأنَّه أرادَ أباه وخالته» ^(٣).

في تحليله هذا كان يعلِّلُ صرفيًّا سببَ تغليبِ القمرِ في التثنيةِ على الشمسِ؛ لأنَّ علماءَ اللُغَةِ وضعوا أسبابًا للتغليبِ بينَ الشبيهيَّين، منها الشهرةُ أو السبقُ لأحدهما، وإذا ما وجدوا تثنيةً مخالفةً لهذه العلةِ تأوَّلوا غيرها، وهذا ما حاوله الشيخُ الكفعميُّ رحمته الله في كلامه السابق، فقد افترضَ شخصًا معترضًا على تثنيةِ الشمسِ والقمرِ بـ (العمران) بلحاظِ صرفيَّةِ، وهي أنَّ وزنَ كلمةِ (قمر) أثقلُ في بنيتها؛ لكونها - بالتفسيرِ الصوتيِّ الحديثِ - تُشكِّلُ ثلاثةَ مقاطعٍ صوتيةٍ (قَ - مَ - رُ - نَ)، بينما يتشكَّلُ في كلمةِ (شمس) مقطعانِ فقط، هما (شَ - مَ / سَ - نَ)، وجاءتِ التثنيةُ

(١) ينظر: المثنى التَّغْلِيبيِّ وتراثِ العربيَّةِ فيه: ٢٩.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠.

(٣) صِفْوَةُ الصِّفَاتِ: ١٦٥.

على الأثقلِ خلافاً لعادةِ العربِ في الميلِ للخفيفِ في كلامِها.

وهنا التمسَ تعليلاً آخرَ لتغليبِ القمرِ وهي أنّ القمرَ مذكّرٌ والمذكّرُ أصلٌ يغلبُ على المؤنثِ، وضربَ لذلكِ شاهداً قرآنيّاً ليبيّنَ ظاهرةَ تغليبِ المذكّرِ، ففي الآيةِ نجدُ أنّ المثنى التغيبيّ هو كلمةُ (أبويه)، وعلى الرغمِ من اختلافِ المفسّرينَ في انطباقِ كلمةِ (أبويه) على يعقوبَ وأمهِ الحقيقيّةِ، أو يعقوبَ وخالتهِ؛ بناءً على أنّ أمّه ماتت وهو صغيرٌ^(١)، فإنّ الكلمةَ تعني أباه وأمه، وقد تُنْياً بتغليبِ الأبِ على الأمِّ؛ لأنّه مذكّرٌ، فالشاهدُ إذن جاءَ مناسباً لما كان بصدده من شرحٍ صرفيٍّ.

٣. الوظيفةُ النحويّةُ:

في علمِ النحوِ يبرزُ الجانبُ النحويُّ عبرَ العلاقاتِ التركيبيّةِ التي تولّفُ الكلامَ، وفي الغالبِ يلحظُ أثرُ هذه العلاقاتِ على حرفِ الإعرابِ بإشاراتٍ يُسمّيها النحويّونَ علاماتِ الإعرابِ. ولم نعدم أن نجدَ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ استشهاداً قرآنيّاً ذا وظيفةٍ نحويّةٍ يبرزُ بوساطتها الكفعميّ معاني الكلامِ في الدعاءِ.

ومن ذلكَ تعليقه على فقرةِ الدعاءِ (وبقوتك التي تُمسكُ بها السماءُ أن تقعَ على الأرضِ): «هنا «لا» محذوفةٌ والمعنى أن لا تقعَ على الأرضِ... وهم يحذفونَ «لا» في مواضعَ والمرادُ الإثباتُ... كقوله تعالى: ﴿كجهرِ بعضهم لبعضٍ أن تحبّطَ أعمالكم﴾^(٢) أي «لا» تحبّط»^(٣).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ٢٤٨.

(٢) سورة الحجرات: ٢.

(٣) صفوة الصفات: ١٢٧.

لقد لاحظَ الكفعميُّ فجوةً تركيبيةً في عبارة الدعاءِ، وهي ظاهرةٌ لغويةٌ يُسمِّيها النحويُّونَ (الحذفَ)، فإنَّه لا يستقيمُ المعنى إذا لم تُقدَّر أداةُ النفي (لا)؛ فإمساكُ السماءِ لأجلِ ألاّ تقعَ، لا العكسُ؛ أي لا أن تقعَ، فالحرفُ المحذوفُ هو أداةُ نفيٍّ بعدَ (أن) المصدريةِ.

وحتى يؤكِّدَ كلامه استشهدَ على هذا الحذفِ أو الاستغناءِ بآيةِ الحُجْرَاتِ، فهي بحسبِ الظاهرِ تشبَّه ما وردَ في الدعاءِ، وبالرجوعِ إلى بعضِ كتبِ التفسيرِ وجدتُ أنه يُمكنُ أن يكونَ التقديرُ بحذفِ مصدرِ صريحٍ مضافٍ للمصدرِ المؤوَّلِ؛ أي لا تفعلوا ذلكَ كراهةً أن تحبَّطَ أعمالُكم^(١). ومهما يكن فإنَّ الشَّاهدَ القرآنيَّ أدَّى وظيفةً في النحوِ، وساندَ النمطَ التركيبيَّ الذي وردَ في الدعاءِ، ومن ثمَّ رأيتُ المصنِّفَ في توضيحِ المعنى.

ويُطالِعنا أيضًا تصریحُ بشاهدٍ قرآنيٍّ ذي وظيفةٍ نحويَّةٍ، والمصنِّفُ كانَ يعرضُ لمعاني كلمة (الرحمة) التي وردت في الدعاءِ وما يُشتقُّ منها، إلى أن قال: «والرحمُ والرحيمُ: القرابةُ، والجمعُ: الأرحامُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٢)، فَمَنْ نَصَبَ فَالْمَعْنَى: وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَمَنْ خَفَضَ أَرَادَ: تَسَاءَلُونَ بِهِ وَبِالْأَرْحَامِ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّحِمِ»^(٣).

إنَّ من أساليبِ المؤلِّفِ خروجَه عن نقطةِ بحثه إلى ما يُحيطُها وما يُغني كتابه عامَّةً، فقد انتقلَ من بيانِ معنى الكلمةِ إلى إيرادِ شاهدٍ عليها، ومن ثمَّ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٢٢١، والميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٣١٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) صفة الصفات: ٢٥٨ و ٢٥٩.

بيان الأوجه النحويّة للكلمة موضع البحث في سياقها من النصّ المبارك، وأعني كلمة (الأرحام) في سورة النساء؛ إذ قرئت بالجرّ والرفع^(١)، وما عليه المصحف الكريمّ نصب، ومما لا شكّ فيه أنّ تغيير علامة الإعراب يتبعه تغيير في المعنى^(٢)، فإذا قرئت بالنصب كانت معطوفة على لفظ الجلالة والمعنى (اتّقوا الأرحام)، وإذا قرئت بالجرّ كانت معطوفة على الضمير الهاء المجرور بالباء.

وهذا البيان للمعنى بلحاظ الإعراب مختصر منه؛ إذ ليس من شأنه التفصيل في كتاب غير معنيّ بإسهاب شرح الآيات الكريمة، وللمفسّرين كلامٌ أكثر تفصيلاً في التوجيه الإعرابيّ، أنقلُ منه قول السيّد الطباطبائيّ في العطف على شبه الجملة (به)، قال: «هذا ما قيل، لكنّ السياق ودأب القرآن في بياناته لا يلائمونه، فإنّ قوله: (والأرحام) إنّ جعل صلة مستقلة لـ (الذي)، وكان تقدير الكلام: واتّقوا الله الذي تسألون بالأرحام، كان خالياً من الضمير وهو غير جائز، وإن كان المجموع منه ومما قبله صلة واحدة لـ (الذي) كان فيه تسوية بين الله عزّ اسمه وبين الأرحام في أمر العظمة والعزة وهي تنافي أدب القرآن»^(٣).

٤. الوظيفة البلاغيّة:

تُعرف البلاغة بأنّها علمٌ يتناول الكلام المركّب وطريقة تأليفه من جهة

(١) ينظر: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣ / ٥٤٤ و ٥٥٥.

(٢) في بعض مواطن اللغة القليلة يكون تغيير حركة الإعراب بلا متغيّر معنوي، ينظر: معاني النحو: ١ / ٢٨ - ٣١.

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ١٤٢.

مطابقة أساليبه لما يقتضيه مقام الخطاب^(١)، ولهذا العلم ثلاثة أقسام رئيسة يبحث فيها، وهي علم المعاني، والبيان، والبديع.

وقد استشهد الكفعمي بآيات متعددة لبعض الأساليب البيانية، من ذلك تعليقه على جملة الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لُفْتُحَ بِالرَّحْمَةِ انْفُتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرْجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ) أن فيه أنواعاً من البديع، منها «البسط» وهو الإتيان باللفظ الكثير على المعنى القليل لكن شرطه زيادة الفائدة كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٢)، فإنه لو ترك الإطناب لم يذكر: «ويؤمنون به»؛ لأن إيمانهم لا ينكره من يثيبهم فلا حاجة إلى الإخبار به لكونه معلوماً، لكن حسن ذكره لفائدة إظهار شرفه والترغيب فيه... وفي الفقرتين كان يمكنه **عليه السلام** أن يقول لو ترك الإطناب: مغالق السماء لانفتحت ومضايق الأرض لانفرجت بالرحمة^(٣).

لقد لمح الكفعمي هذا اللون البياني الذي ورد في الدعاء مستنداً إلى مرجعيّاته في البلاغة والقرآن الكريم، والبسط الذي هو من الإطناب وعكسه الإيجاز، طريقة في إلقاء الخبر، تناولتها الدراسات البلاغيّة، وقررت أن دواعيها كثيرة، منها تقوية المعنى وتوكيده، أو توضيح المراد، أو رفع الإبهام وغير ذلك^(٤)، وقد تحقّق هذا الأسلوب بتكرار لفظ (الرحمة) و (الأبواب)

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٠.

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) صفوة الصفات: ٩٢.

(٤) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٠٢.

في فقرة الدعاء، وجاء الشاهد القرآنيّ موضّحاً لهذا الاستعمال.

ولفقرة الدعاء نفسها استشهد بالقرآن الكريم لأسلوب بيانيّ آخر ورد فيها، يُسمّى الإشارة، ويعني أن يُشير المتكلّم إلى معانٍ كثيرةٍ بكلامٍ قليلٍ، فهو عكس البسطِ إذن، وذكر له الكفعميُّ شاهدين أحدهما قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيهِ الأنفُس وتلذُّ الأعين﴾^(١)، فإنّ شرح ما في الجنّة يطول ذكره أو جزه الحكيمُ جلّ جلاله بالآية المباركة، وفيما يخصُّ الإشارة في فقرة الدعاء قال المصنّف: «وفي الفقرتين الإشارة بذكر الرحمة السماوية والأرضية إلى رفع الأعمال ونزول الأرزاق والآجال وزوال الركب وبلوغ الآمال، وشرح ذلك لا يُعدُّ ولا يُحصى ولا يُحدُّ ولا يُستقصى»^(٢).

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) صفوة الصفات: ٩٤.

القسم الثاني: التلميح للشاهد القرآني

قد تبينَ ممَّا سبقَ الحضورُ الكثيفُ للشاهدِ القرآنيِّ في كتابِ الكفعميِّ مصرِّحًا به، وعلى أكثر من نمطٍ؛ ليؤدِّيَ وظائفَ متعدِّدةً تصبُّ في كشفِ المعنى ومرادٍ منتجِ النصِّ، وتُثري البحثَ بما يدورُ حولَ تلكَ المعاني، ولكنَّ المصنِّفَ لم يقنع بهذا الحدِّ في عمله، فثمة شواهدُ قرآنيَّةٌ غابت في أثناءِ شرحه أو كانت مضمرةً، فبدل أن يذكرها لجأ إلى الإلماح إليها بكيفيَّاتٍ محدَّدة، ومن ثمَّ يكونُ الشَّاهدُ مرصودًا ذهنيًّا وهو غيرُ موجودٍ في البحثِ، لذا عقدنا هذا القسمَ لأنَّه مناظر للقسم الذي سبق، وهو التلميحُ للشاهد. وفيما يأتي من البحثِ نرصدُ بعضَ ما وردَ من إيماءاتٍ لتلك الشواهدِ، ونقفُ على مناسباتِها:

يجدُ الباحثُ في مواضعٍ من الكتابِ ذكرَ كلمةٍ أو تركيبٍ من آيةٍ قرآنيَّةٍ، كان بإمكانِ المصنِّفِ أن يستشهدَ بها على كلامه، إلَّا أنَّه لم يفعل؛ اختصارًا واكتفاءً بالتلميحِ إليها. إنَّ ذكرَ كلمةٍ أو أكثر من آيةٍ لا يعني أن المصنِّفَ قد ذكرَ شاهدًا للنصِّ المباركِ، إنَّما أغناه هذا الذكرُ السريعُ في أثناءِ حديثه عن الإتيانِ به تصریحًا، ويكثرُ هذا الأمرُ كلِّما كان الشَّاهدُ معروفًا لدى القارئِ، ويكثرُ ترديدهُ في البحوثِ.

ومن ذلكَ أنَّه استطرَدَ كثيرًا وهو يُعقِّبُ على جملةِ الدعاءِ (وحُمدتْ به في السماواتِ والأرضِ)، فذكرَ كلامًا يخصُّ معنى الحمدِ، ثمَّ عرَّجَ على ذكرِ السماواتِ وما فيها، وختمَ الحديثَ عن الأرضِ وما فيها من أقاليمٍ وجبالٍ وقلاعٍ، وفجأةً ذكرَ فنًّا بلاغيًّا تحتَ عنوانِ (فائدة)، وهو الاقتباسُ، قال: «الاقتباسُ في علمِ البديعِ هو أن يُضمَّنَ المتكلِّمُ كلامه

كلمةً أو آيةً من كتابِ الله... كقولِ الكفعميِّ عفا الله عنه:

رأبْتُها تنهّادي في أزقَّتينا والصدرُ مُنشرحٌ والقلبُ في جدَلٍ
سألْتُها الوصلَ قالت: في غداةٍ غدٍ فقلتُ: قد ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ﴾^(١)

على الرغم من بعد ما وصل إليه الشارحُ رحمته عن فقرة الدعاء، إلا أنه قدّم مادّةً علميّةً لغويّةً وتاريخيّةً وجغرافيّةً، وهذا - فيما نحسبُ - أسلوبٌ يدفع الملالة عن القارئ؛ إذ يخرج المؤلّف عن جوِّ اللغَةِ والدعاء إلى رحاب لا تخلو من فائدة، وكثيرًا ما يحضّر هذا الأسلوب في كتابه. وما يُركّز عليه بحثنا هو الشاهد القرآنيُّ بوصفه غائبًا بنصّه، حاضرًا إلماحًا، ففي بيته الشعريِّ استعمل أسلوب الاقتباس لآية قرآنيّة هي قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾^(٢)، ولو أراد التوضيح أكثر لقال: إن الاقتباس كان في عجز البيت الثاني، ثمّ يذكر الشاهد القرآنيّ، إلا أنه اختصر لوضوح ذلك.

ومنه أيضًا ما قدّمه من بحثٍ فلكيٍّ مائع استطرّد به الحديث عن فقرة الدعاء (وجعلت لها مطالعَ ومجاريّ وجعلت لها فلكًا ومسابعَ)، وكعادته يبدأ الكلام ببيان معاني الكلمات، ثمّ يوردُ بعض الأبحاث المتعلّقة، فقد بسط القول في حركة الكواكب في أفلاكها إلى أن قال: «وأما القمرُ فهو يقطعُ الفلكَ في ثمانية وعشرين يومًا وله ثمانية وعشرون منزلًا ينزلها القمرُ في كلّ شهرٍ، ينزلُ في كلّ يومٍ وليلةٍ منزلًا، فإذا قطعَ هذه الثمانية وعشرين منزلًا عادَ كالعرجونِ القديم»^(٣).

في هذا النصّ من كلامه إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿والقمرَ قدرناه منازلَ حتى

(١) صفوة الصفات: ٣٣١.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٣) صفوة الصفات: ١٧٧.

عاد كالعرجون القديم^(١)، ولم يذكره، وإنما أشار إليه بتركيب (العرجون القديم). والقمر يسير في مجاله الفلكي (الفلك) لينزل منازلَه المعروفة في مدّة شهر؛ إذ يبدأ هلالاً ويكبرُ فيصبحُ بدرًا، حتّى يُصبحَ في آخرِ الشهرِ مستدقًا كالعرجون القديم.

واختلف أهل اللغة في أصل العرجون، فقيل هو من الثلاثي (عرج)، وقيل من الرباعي (عرجن)، ومهما يكن فإن معناه واحدٌ عندهم وهو أصل العذق في النخل، ما بين جذع النخلة وشماريخ العذق التي تحمل الثمر^(٢)، وهذه القطعة النباتية إذا صارت قديمةً تنحني، لذلك عدّ تشبيه القمر بها بديعًا، تضمّن ثلاثة وجوه: الدقة والاستقواس والاصفرار^(٣).

ومنه ما جاء في شرحه لجملة وردت في الدعاء، وهي (وفي أرض مصر بتسع آيات بينات)، قال: «والآيات التسع قيل: هي الدم، والصفادع، والقمل، والرجز، والوباء، والجراد، والبرد، وكان ينزل من السماء ويطلع منه حرٌّ نارٍ فتحرقهم، والظلام الملبس بحيث لا يمكن القائم أن يقعد ولا القاعد أن يقوم، وموت الأبقار، وقيل: عوض موت الأبقار: الطوفان»^(٤).

في كلامه هذا غاب أكثر من شاهد قرآني، فذكر الآيات التسع التي آتاها الله موسى وألفاظ تلك الآيات يُحيل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى

(١) سورة يس: الآية ٣٩.

(٢) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (عرجن).

(٣) ينظر: الدرّ المصون: ٩ / ٢٧١.

(٤) صفة الصفات: ٢١٦.

مَسْحُورًا»^(١)، وقوله: ﴿فَأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعَ والدمَّ آياتٍ مفصّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾^(٢).

لقد اختلف العلماء في تصنيف هذه الآيات على أقوالٍ، والقرآن الكريم ذكر من آيات موسى أكثر من هذا العدد، فهناك إحياء المقتولٍ ونتق الجبل والعصا واليد وغيرها، وقد ذكر الكفعمي أقوالاً أخرى في أصناف الآيات التسع، لا نريد التطويل بذكرها.

وبالجملة فإن الذي يظهر من القرآن الكريم أنّ هذه التسعة مخصوصة بفرعون وقومه ودعوتهم للإسلام، قال تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ في تسع آياتٍ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾^(٣)، فالآيات التسعة هي «العصا واليد والطوفان والجراد والقُمَّل والضفدع والدم والسنون ونقص من الثمرات»^(٤).

وعلى هذا المنوال يتم التلميح بأسلوب لا نجد فيه من الكفعمي إشارة إلى شاهد قرآني بذكر كلمة منه أو تركيب، بل نراه يتناول فكرته أو مضمونه، وكأنه استشهد به، وبطبيعة الحال فإن هذا يمثل إلماحاً لنص غائب في حديثه.

ومما على هذه الشاكلة في الإشارة للشاهد القرآني ما جاء في بحث مطوّل عن مجموعة من الأنبياء في إطار شرحه لقول الدعاء (وبيركاتك التي باركت فيها على إبراهيم خليلك عليه السلام في أمة محمد صلى الله عليه وآله)، فقد أتى ببحث عن النبي

(١) سورة الإسراء: ١٠١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٣.

(٣) سورة النمل: ١٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٢١٤.

محمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَبِينًا فِيهِ جَمَلَةٌ مِنْ خِصَائِصِهِ، قَالَ: «وَجُعِلَتْ نِسَاؤُهُ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي: تَحْرِيمُ نِكَاحِهِنَّ عَلَى غَيْرِهِ سِوَاءَ فَارِقِهِنَّ لِمَوْتٍ أَوْ فِسْخٍ أَوْ طَلَاقٍ، لَا لِتَسْمِيَتِهِنَّ أَمَهَاتٍ وَلَا لِتَسْمِيَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا»^(١).

أَشَارَ الْكَفْعَمِيُّ فِي كَلَامِهِ هَذَا إِلَى نَصِّ قُرْآنِيٍّ غَائِبٍ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢)، فَقَدْ تَنَاوَلَ مَضْمُونِ الْآيَةِ وَلَمْ يَسْتَشْهَدْ بِهَا؛ لِوَضُوحِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنِسَاءُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كُلُّهُنَّ أُمَّهَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ وَقَفَ الْكَفْعَمِيُّ عَلَى عِلَّةِ هَذَا التَّشْرِيعِ، فَهُوَ - وَإِنْ كَانَ تَوْقِيرًا لِهِنَّ إِنْ بَقِينَ عَلَى سَلَامَةٍ مَعْتَقِدِهِنَّ - تَحْرِيمُ نِكَاحٍ؛ أَي لَا يَجُوزُ نِكَاحُهُنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ لِلنِّسَاءِ إِنِّي لَسْتُ أُمًَّّا لَكُمْ، بَلْ لِرِجَالِكُمْ كَمَا يَرُويهِ الْعَامَّةُ^(٣).

(١) صفوة الصفات: ٤١٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٦.

(٣) ينظر: الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل: ٣ / ٥٢٣.

الخاتمة

بعد انتهاء رحلتنا في البحث عن الشاهد القرآني في كتاب صفوة الصفات، نقف هنا لتُسجّل أبرز النتائج التي توصل إليها البحث هذا، وهي كما يأتي:

١. لحظَ البحثُ غزارة الاستشهاد بالنصّ القرآني في كتاب الكفعمي، بل إنّه فاق غيره من أنواع الاستشهادات الأخر، وأعني الاستشهاد بالحديث النبوي وكلام العرب شعراً ونثراً؛ إذ وصل عدد الآيات التي استشهد بها إلى ما ينيفُ على المئتين والسبعين.

٢. تعددت أنماط التصريح بالشاهد القرآني، فقد يذكر جزءاً منه أو آيةً كاملةً أو أكثر من ذلك، وهو أمرٌ منوطٌ بالحاجة والمقام، والذي كثر في الكتاب نمطُ الاجتزاء.

٣. عرفنا عبر البحث في كتاب الكفعمي أنّه - زيادةً على الاستشهاد الصريح بالشاهد القرآني - كان يُلمحُ إلى بعض الشواهد بواسطة استعمال كلمة أو تركيبٍ منها، أو ذكر معانيها.

٤. وجدَ البحثُ أنّ الشيخ الكفعمي لا يبقى عند نقطة البحث في المعنى، فهو يوشّي ما يبحثه بمسائل تتصل بالكشف المعنوي فتثريه، فقد يبحث في السيرة والفلك والجغرافية وعجائب الخلق وغير ذلك.

٥. وجدَ البحثُ أيضاً أنّ الكفعمي قد اطّلع على كثيرٍ من المصادر المهمّة في التفسير والأدب واللغة، وكان ينقل منها بإشارة أو من دون إشارة.

٦. توَصَّلُ البَحْثُ إِلَى حَقِيقَةِ لَمْ يُسَجَّلْهَا أَغْلَبُ مِنْ تَحَدَّثُوا عَنِ الشَّاهِدِ الْقُرْآنِيِّ تَعْرِيفًا وَوَضِيفَةً؛ إِذْ أَنْصَبَ ااهْتِمَاءُهُمْ عَلَى غَايَةِ التَّوْثِيقِ الَّتِي تَلِي وَضَعَ الْقَاعِدَةِ مِنْ قَبْلِ الْعَالِمِ؛ إِذْ نَعْتَقِدُ بِأَنَّ هُنَاكَ وَضِيفَةً لِلشَّاهِدِ تَسْبُقُ هَذَا الْوَضْعَ لِلْقَاعِدَةِ، وَهِيَ أَنَّهُ يُسَهَّمُ بِشَكْلِ أُسَاسٍ فِي صَوْغِ تِلْكَ الْقَاعِدَةِ أَوْ الرَّأْيِ الْعِلْمِيِّ؛ إِذْ يَقَعُ تَحْتَ مَنْظُورِ الْعَالِمِ مَسْبِقًا فِي مَرِحَلَةِ الْاسْتِقْرَاءِ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أصول النحو العربيّ في نظر النحاة وابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، محمّد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٩ م.
٢. أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٣. الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١ هـ)، ضبطه: عبد الحكيم عطية، دار البيروتيّ، ط ٢، ٢٠٠٦ م.
٤. أمل الآمل، محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤ هـ)، تح: أحمد الحسينيّ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٦. تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر الفارابيّ (ت ٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م.
٧. التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، ١٩٨٤ م.
٨. التعريفات، علي بن محمّد الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ)، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.

٩. جمهرة اللغة، محمّد بن دريد الأزديّ (ت ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
١٠. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
١١. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمّد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.ت).
١٢. رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله الهندي الأصبهاني (ت ١١٣٠هـ)، تح: أحمد الحسيني، مطبعة الخيام، قم المقدّسة، ط ١، ١٩٨١م.
١٣. شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربيّة في حلب، ط ١، ١٩٧٣م.
١٤. الصاحبى في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، الناشر محمّد علي بيضون، ط ١، ١٩٩٧م.
١٥. صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، إبراهيم بن علي الكفعميّ (ت ٩٠٥هـ)، تح: حسين هادي الحسينيّ، العتبة الحسينيّة المقدّسة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية)، كربلاء، ط ١، ٢٠١٨م.
١٦. الطليعة من شعراء الشيعة، محمّد السماويّ (ت ١٣٧٠هـ)، تح: كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
١٧. علماء في رضوان الله، محمّد أمين نجف، انتشارات الإمام الحسين، ط ٢، ٢٠٠٩م.

١٨. في أصول النحو، سعيد الأفغانيّ (ت ١٤١٧ هـ)، مطبعة الجامعة السورية، ط ٢، ١٩٥٧ م.
١٩. القاموس الفقهيّ لغة واصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٨ م.
٢٠. الكشّاف عن غوامض حقائق التنزيل، جار الله الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥ م.
٢١. لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤ م.
٢٢. اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخليّ ومحمّد القصاص، مكتبة الأنكلو المصرية، (د.ط)، (د.ت).
٢٣. معاني النحو، فاضل صالح السامرّائيّ، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، ط ١، ٢٠٠٠ م.
٢٤. معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٨ م.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام هارون (١٤٠٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
٢٦. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربيّة، محمّد محمّد يونس علي، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
٢٧. المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحويّ لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازنيّ النحويّ البصريّ، ابن جني

(ت ٣٩٢ هـ)، تح: د. إبراهيم مصطفى و د. عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ط ١، ١٩٥٤ م.

٢٨. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد بن علي التهانويّ (ت ١١٩١ هـ)، تح: علي دحروج، تر: عبد الله الخالديّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

٢٩. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢ هـ)، صحّحه: حسين الأعلميّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.